نصائح وتوجيهات

للشباب المسلم



للعلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

دار ابن كثير
دمشق - بيروت

نصائح وتوجيهات

للشباب المسلم

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م



للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي
ص.ب: ٣١١ - هاتف ٢٢٢٥٨٧٧ - ٢٢٢٨٤٥٠ - فاكس ٢٢٤٣٥٠٢
بيروت - برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة
ص.ب: ١١٣/٦٣١٨ - تلفاكس ٠١٨١٧٨٥٧ - ٠٣٢٠٤٤٥٩

نصائح وتوجيهات

للشباب المسلم

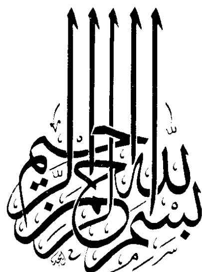
للعلامة السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي

إعداد وترتيب

السيد عبد الماجد الغوري

دار ابن كثير

دمشق - بيروت


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وخاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فهذا عزيزي القارىء قبس من مؤلّفات ومحاضرات وحوارات العلاّمة الكبير الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ، ينضح بتوجيهات ونصائح قيمة ، يبثّها داعية إسلامي كبير ، أخلص وجهه لله ، وأخلص في حياته وسيرته لله تعالى ولرسوله ﷺ ، فكان مثال القدوة الحسنة لما يدعو إلى الإسلام بكتبه النقية وبسياحته التي حاضر فيها ووَجَّهَ وأرشد ، وغَرَسَ في أعماق الشباب المسلمين المثقفين الشعورَ بعزة الإسلام ورفعته ، الّذين أضنتهم المواجهة الشرسة مع المدنية الغربية وأذيالها ، وأَدْمَتْهم مطارد[1] الطغاة .

(١) المطارد جمع مِطْرَدْ : الرمح القصير يطعن به .

إنَ هذا الكتاب نبراس يبدِّد حلكة الظلام الّذي خيّم في طريق أبناء الإسلام لا سيّما الدعاة إلى الله وطلبة العلم الّذين يعلّق عليهم العلاّمة الندوي آمالاً كبيرةً في نشر الإسلام وإعلاء كلمة الله في مشارق الأرض ومغاربها .

أرجو الله عز وجل أن ينفع بهذا الكتاب ، إنه على كل شيء قدير .

عبد الماجد الغوري

١٤/ ١٠/ ١٩٩٩م

لمحة عن حياة
العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي

اسمه ونسبه وأسرته :

● علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الحسني ، ينتهي نسبه إلى عبد الله الأشتر بن محمّد ذي النفس الزكية بن عبد الله المحض ، بن الحسن (المثنى) بن الإمام الحسن السبط الأكبر بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، أول من استَوْطَنَ الهند من هذه الأسرة في أوائل القرن السابع الهجري هو الأمير السيّد قطب الدين المدني (٦٧٧ هـ) .

● أبوه العلاّمة الطبيب السيّد عبد الحيّ الحسني الذي استحق بجدارة لقب « ابن خلكان الهند » « لمؤلفه القيم » « نزهة الخواطر » (في ثماني مجلدات ضخمة) عن أعلام المسلمين في الهند وعمالقتهم ، طُبِعَ أخيراً باسم « الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » .

● أمّه ـ رحمها الله ـ كانت من السيّدات الفاضلات ، المربّيات النادرات ، المؤلّفات المعدودات ، والحافظات للقرآن الكريم تقرض الشعر ، وقد نظمت مجموعة من الأبيات في مدح رسول الله ﷺ .

ميلاده ونشأته :

● أبصرَ النورَ في ٦ محرم ١٣٣٣هـ الموافق عام ١٩١٤م بقرية تكية كلان بمديرية رائي بريلي في الولاية الشمالية (أترابرديش) .

● بَدَأَ دراسته الابتدائية من القرآن الكريم في البيت ، ثم دَخَلَ في الكُتّاب حيث تعلّم مبادىء اللغتين (الأردوية والفارسية) .

● توفي أبوه عام ١٣٤١هـ (١٩٢٣م) وكان عمره يتراوح آنذاك بين التاسعة والعاشرة ، فتولّى تربيته أمّه الفاضلة ، وأخوه الأكبر الدكتور عبد العلي الحسني الذي كان يدرس آنذاك في كلية الطب بعد تخرّجه من دار العلوم ديوبند الإسلامية ودار العلوم ندوة العلماء ، وإليه يرجع الفضل في توجيه وتربية سماحة الشيخ الندوي .

● بدأ دراسة العربية على الشيخ خليل بن محمّد الأنصاري اليماني في أواخر عام ١٩٢٤م ، وتخرّج عليه مستفيداً في الأدب

العربي ، ثمّ توسّعَ فيه وتخصَّصَ على الأستاذ الدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي عند مقدمه إلى ندوة العلماء عام ١٩٣٠م .

• التحق بجامعة لكهنؤ فرع الأدب العربي عام ١٩٢٧ م ، ولم يتجاوز عمره آنذاك الأربعة عشر عاماً ، وكان أصغر طلبة الجامعة سناً ، ونالَ منها شهادة فاضل أدب في اللغة العربية وآدابها ، قرأ خلال أيام دراسته في الجامعة كتباً تعتبر في القمة في اللغة العربية والأردوية ، ممّا أعانه على القيام بواجب الدعوة وشرح الفكرة الإسلامية الصحيحة ، وإقناع الطبقة المثقفة بالثقافة العصرية ، وتَعَلَّمَ الإنجليزية مما مكّنته من قراءة الكتب المؤلفة بها في التاريخ والأدب والفكر .

• التحق بدار العلوم ـ ندوة العلماء عام ١٩٢٩م وقرأ الحديث الشريف (صحيحي البخاري ومسلم وسنن أبي داود وسنن الترمذي) حرفاً حرفاً مع شيء من تفسير البيضاوي على العلاّمة المحدّث الشيخ حيدر حسن خان الطونكي ، ودرس التفسير لكامل القرآن الكريم على العلاّمة المفسر المشهور أحمد علي اللاّهوري في لاهور عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م ، وحَضَرَ دروس العلاّمة المجاهد حسين أحمد المدني في صحيح البخاري وسنن الترمذي خلال إقامته في دار العلوم ديوبند ، واستفاد منه في التفسير وعلوم القرآن أيضاً .

جهوده العلمية ونشاطاته الدعويّـة :

● انخرَطَ في سلك التدريس من عام ١٩٣٤م ، وعُـيّنَ أستاذاً في دار العلوم ندوة العلماء لمادتي التفسير والأدب ، خلال تـدريسـه فـي دار العلـوم نـدوة العلمـاء استفـاد مـن الصحـف والمجلاّت العربية الصادرة في البلاد العربية ، ممّا عرفه على البلاد العربية وأحوالها ، وعلمائها وأدبائها ومفكريها عن كَثب ، واستفاد أيضاً من كتب المعاصرين من الدعاة والمفكرين العرب وفضلاء الغرب والزعماء السياسيين .

● قام برحلة استطلاعية للمراكز الدينية في الهند عام ١٩٣٩م ، تَعَرَّفَ فيها على الشيخ المربّي العارف بالله عبد القادر الرأي فوري والداعية المصلح الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ، وكان هذا التعرّف نقطة تحوّل في حياته ، وبَقِيَ على الصلة حتى وافاهما الأجل المحتوم ، وتَلَقّى التربية الروحية مـن الشيـخ عبـد القـادر الـرأي فـوري واستفـاد مـن صحبتـه ومجالسته ، وتأَسَّى بالشيخ محمّد إلياس الكاندهلوي في القيام بواجب الدّعوة وإصلاح المجتمع ، وقَضَى زمناً طويلاً في رحلات وجولات دعوية متتابعة للتربية والإصلاح والتوجيه الديني في الهند وخارجها .

● أسّسَ مركزاً للتعليمات الإسلامية عام ١٩٤٣ ، وأَسّسَ

حركة رسالة الإنسانية عام ١٩٥١م ، والمجمع الإسلامي العلمي في لكهنؤ عام ١٩٥٩م .

- عُيِّنَ أميناً عاماً لدار العلوم ندوة العلماء عام ١٩٦١ ، (ولا يزال يترأس أمانتها إلى يومنا هذا) .

- شارك في تأسيس هيئة التعليم الديني للولاية الشمالية (أترابرديش) عام ١٩٦٠م ، وفي تأسيس المجلس الاستشاري الإسلامي لعموم الهند عام ١٩٦٤م ، وفي تأسيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند عام ١٩٧٢ .

أهمّ مؤلفاته :

- نشِرَ له أول مقال بالعربية في مجلّة « المنار » للعلاّمة السيّد رشيد رضا المصري عام ١٩٣١م حول شخصية الإمام السيّد أحمد بن عرفان الشهيد ، وكان عمره ـ آنذاك ـ الأربعة عشر عاماً .

- ظهَرَ له أوّل كتاب بالأردوية عام ١٩٣٧م يحمل اسمه « سيرة أحمد شهيد » ونَالَ قبولاً عاماً في الأوساط الدينية والعلمية في الهند وباكستان .

- بدأ سلسلة تأليف الكتب المدرسية بالعربية ، وظَهَرَ أوّل كتاب فيها بعنوان « مختارات من أدب العرب » عام ١٩٤٠ ، و« قصص النبيين » للأطفال و« القراءة الراشدة » عام ١٩٤٤م .

وقررت جميع هذه الكتب في مقرّرات جامعات البلدان العربية والهندية .

● ألَّفَ كتابه المشهور « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » عام ١٩٤٤م .

● دعِيَ أستاذاً زائراً في كلية الشريعة جامعة دمشق عام ١٩٥٦م ، وألْقىٰ محاضرات بعنوان « التجديد والمجدّدون في تاريخ الفكر الإسلامي » نُشِرتْ بعد ذلك في شكل كتاب مستقلّ ينضوي تحت أربع مجلدات باسم « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » .

● ألَّفَ كتاباً حول القاديانية بعنوان « القادياني والقاديانية » عام ١٩٥٨م ، وألَّفَ كتابه « الصراع بين الفكرة الإسلامية والغربية في الأقطار الإسلامية » عام ١٩٦٥م وكتابه « الأركان الأربعة » عام ١٩٦٧ ، و « العقيدة والعبادة والسلوك » عام ١٩٨٠ و « المرتضىٰ » في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عام ١٩٨٨م .

● شارك في تحرير مجلة « الضياء » العربية الصادرة من دار العلوم ـ ندوة العلماء عام ١٩٣٢ ومجلّة « الندوة » الأردوية الصادرة منها أيضاً عام ١٩٤٠ ، وأَصْدَرَ مجلّة « تعمير حيات » الأردوية عام ١٩٤٨م ، وكَتَبَ مقالات في الأدب والدعوة والفكر

في أمهات المجلاّت العربية الصادرة من مصر ودمشق كـ : « الرّسالة » للأستاذ أحمد حسن الزيات و« الفتح » للأستاذ محب الدين الخطيب و « حضارة الإسلام » للدكتور مصطفىٰ السباعي ، و«المسلمون» للدكتور سعيد رمضان المصري .

● أشْرَفَ على إصدار جريدة « نداي ملّت » الأردوية عام ١٩٦٢م ، وهو المشرف العام الآن على مجلّة « البعث الإسلامي » العربية الصادرة منذ عام ١٩٥٥م وجريدة « الرائد » العربية الصادرة منذ عام ١٩٥٩م وجريدة « تعميرحيات » الأردوية الصادرة منذ عام ١٩٦٣م ، وكلها تصدر من دار العلوم ـ ندوة العلماء في لكهنؤ .

رحلاتـه :

● سافَرَ إلى الشرق والغرب مرات داعيةً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، عاملاً على إعلاء كلمة الإسلام بالكلمة المسموعة والمقروءة وبالعمل الإيجابيّ البنَّاء في كل مجال ، جواباً للآفاق في سبيل الله ، محاضراً ، ومحدثاً ، ومحاوراً ، واعظاً وهادياً ، ومشاركاً بالرأي والفكر في المجالس العلمية ، والمجامع الجامعية والمؤسسات الإسلامية ، والمؤتمرات والندوات فيهما [١] .

(١) انظر للاطلاع على جميع رحلاته كتاب «رحلات العلامة أبي الحسن =

تقدير وتكريم:

- انتخبه مجمع اللغة العربية بدمشق والقاهرة والأردن عضواً مراسلاً لما اتصف به من العلم الجمّ، والبحث الدقيق في ميادين الثقافة العربية والإسلامية، ولمساعيه المكثفة المشكورة في سبيلها.
- اختير عضواً في المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منذ تأسيسها عام ١٩٦٢م.
- اختير عضواً في رابطة الجامعات الإسلامية منذ تأسيسها عام ١٩٧١م.
- اختير لاستلام جائزة الملك فيصل العالمية عام ١٩٨٠م، لمؤلَّفه القيم «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين».
- منح شهادة الدكتوراه الفخرية في الآداب من جامعة كشمير عام ١٩٨١م.
- اختير رئيساً لمركز أكسفورد للدراسات الإسلامية بلندن عام ١٩٨٣م.
- اختير عضواً في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية

علي الحسني الندوي» جمع وترتيب وتعليق للمؤلف، صدر من دار ابن كثير دمشق ـ بيروت عام ١٩٩٩م.

وللبحث والتأليف والتحقيق في عمّان (الأردن) .

- اختير رئيساً عاماً لرابطة الأدب الإسلامي العالمية (الرياض) عام ١٩٨٤م .
- أقيمت ندوة أدبية كبيرة حول حياته وجهوده الحثيثة ومساعيه المشكورة ، ومفاخره العظيمة في مجال الدعوة والأدب عام ١٩٩٩م في إستانبول « تركيا » .
- اختير لاستلام جائزة الشخصية الإسلامية لعام ١٤١٩هـ لخدماته الجليلة ومآثره العظيمة في مجال الدعوة الإسلامية ، وقَدَّمَ إليه الجائزةَ ولي العهد لحكومة الإمارات العربية المتحدة سمو الشيخ محمد بن راشد المكتوم .

رئاسته وعضويته للجامعات والمجامع :

- لا يزال يتولّى سماحته الرئاسة والعضوية لعدة جامعات إسلامية ومجامع عربية ومنظمات دعوية ومراكز دينية في العالم الإسلامي وخارجه ، ومنها على سبيل المثال :

الأمين العام لدار العلوم ـ ندوة العلماء (الّتي أخذت صفة العالمية منذ ترأس أمانتها ، وتَفَوَّقَتْ على معظم جامعات العالم الّتي تَهْتَمّ بشؤون الدراسات الإسلامية والعربية لأنَّها تجمع بين القديم الصالح والجديد النافع) .

رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية (الرياض) .

رئيس المجمع الإسلامي العلمي في لكهنؤ (الهند) .

رئيس مركز آكسفورد للدراسات الإسلامية (إنجلترا) .

رئيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند .

رئيس هيئة التعليم الديني للولاية الشمالية (أترابرديش) .

عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

عضو المجلس التأسيسي الأعلى العالمي للدعوة الإسلامية بالقاهرة .

عضو مجمع اللغة العربية في دمشق .

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

عضو مجمع اللغة العربية الأردني .

عضو المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) بالأردن .

عضو رابطة الجامعات الإسلامية بالرباط .

عضو المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

عضو المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد (باكستان) .

عضو المجلس الاستشاري بدار العلوم ديوبند الإسلامية (الهند).

• وعدا ذلك يتولّى الرئاسة والعضوية لكثير من الجامعات الإسلامية، والمراكز الدينية والمنظمات الدعوية ولجان التعليم والتربية في العالم الإسلامي وخارجه، حفظه الله ونَفَعَ به الإسلام والمسلمين (١).



(١) انظر «أبو الحسن علي الحسني الندوي الإمام المفكر الداعية الأديب». للمؤلف، للاطلاع على حياة سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي، وجهوده الحثيثة في خدمة الدعوة الإسلامية، ومآثره القيمة في مجال الأدب، وموقفه من القضايا الإسلامية والعربية وتعريف لأهمّ مؤلّفاته، صدرَ من «دار ابن كثير دمشق - بيروت عام ١٩٩٩م».

إلى قارىء القرآن الكريم

إن للمؤلف تجربةً عمليةً ، واقتراحاً مخلصاً ، في صدد الصلة الشخصية المباشرة بالقرآن الكريم ، والعلاقة القوية به وتذوقه والتجاوب معه ، والاستفادة منه أكثر فأكثر ، والتقرب به إلى الله ، والرقي عن طريقه في مدارج التوفيق .

وأنه ينبغي أن يشتغل بالقرآن ـ قدر المستطاع ـ مباشرة وبدون وساطة ويتلو منه أكثر ما يمكن ، ويستمتع بقراءته ، ويتذوق ويتدبر في معانيه ، فإذا كان القارىء ، قد حصل من العربية ما يحتاج إليه ، وتمكن من فهم القرآن الكريم مباشرة ، فعليه قراءته وفهمه مباشرة ، وإلا فليرجع إلى الحواشي والملاحظات التفسيرية المختصرة ، ويحاول تلاوة القرآن الكريم ، وفهمه وتدبره وتذوقه من دون اعتماد وتعويل دائم على تفسير إنساني ، ومراجعة كثيرة لكتب التفاسير ، ويكتفي بذلك إلى مدة ما من الزمن ، يحمد الله ـ تعالى ـ على ما يفتحه عليه من فهم كتابه ، وما يوفق إليه من تلاوته حمداً كثيراً .

يجتنب في ذلك ـ عدا مواضع الحاجة إلى البحث العلمي أو إزالة شبهة ـ البحوث التفصيلية الخاضعة للاتجاهات العصرية أو العصبية الجماعية ، السياسية أو القيادية أو التفكير الناشيء من دراسة العلوم الحديثة أو الحضارة الغربية ، إذ أنه تطغى أحيانا على ينبوع القرآن النقي الصافي ، ظلال العقول والعلوم الإنسانية والأغراض الجماعية أو القيادية ، كما تغشى على العين الصافية النقية ظلال الأشجار الكثيفة الوارفة ، ثم لا تبقى فيه تلك العذوبة واللذة ، والأصالة والشفافية التي هي جوهر القرآن الكريم وروحه .

بل لقد أثبتت التجارب أن القارىء يتأثر أحياناً بتفهم إنسان ألمعي فاضل وتفسيره ـ وقد يكون معجباً به من قلبه ـ أكثر مما ينبغي له أن يتأثر بالكلام الإلهي الأصيل ، ويتسرب إلى ذهنه وشعوره أو من منفذ من المنافذ المختلفة ، أنه لولا هذا التفهم والتفسير لم يظهر هذا الجمال القرآني الذي أتمناه ولم تتجل لي عظمته وجلاله وروعته ، وأقل ما يتمكن من خاطره هو أنه يتعود على النظر إلى القرآن الكريم بمنظار تفسير إنساني خاص ، أو قل بمنظار أحد المفسرين والشراح أو القادة والدعاة[١] .

---

(١) من كتاب: «إلى دراسات القرآن الكريم» لسماحة الشيخ الندوي ص٧٧ ـ ٧٨ .

إلى طلاب الحديث النبوي الشريف

توجيهات مخلصة ولفتات هادفة إلى طلاب الحديث في المدارس الدينية والحلقات العلمية والتحقيقية :

أول ما يجب الاهتمام به والحرص عليه، هو تصحيح النية، والإخلاص والاحتساب، في دراسة كتب الحديث، والبحث عن السنة، وقد قرن رسول الله ﷺ بعض الواجبات الدينية، والأعمال التي لا يقوم بها الإنسان إلا امتثالاً لأمر الله، وابتغاء لوجه الله، وبالإيمان والاحتساب، إذ يتطرق إلى ذلك ـ بحكم البيئة والعادة ومحاسبة الناس ـ الحرص على موافقة الناس والبيئة، والتحرز من التعرض للنقد والملام، فيقوم بهذه الفريضة الدينية مسايرة للناس والبيئة، أو خشية من النقد والملام، والإشارة إليه بالبنان، فقيد تلك الواجبات الدينية، أو العبادات الشخصية، باستحضار نية الثواب، ورضا الله تبارك وتعالى، والتقرب إليه، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ قولاً، لا يقوله إلا نبي ملهم من الله، عارف بمواضع الضعف في البشر، وتطرق الأهواء، ونزغات الشياطين إلى النفوس ـ :

«من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[(١)] وقال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[(٢)] فإذا كان من الممكن أن يخشى الإنسان أن يصوم رمضان، أو يقوم لبلة القدر- وفيها مشقة ومجاهدة. وما شرعا إلا للتقرب إلى الله وابتغاء رضوانه - أن يتجرد ذلك عن الإيمان والاحتساب، فكيف بالأعمال والجهود التي تتنوع أهدافها وفوائدها، ولذلك تحتاج هذه الأعمال والانشغالات والجهود إلى عناية خاصة واهتمام بالغ باستحضار نية الثواب والأجر من الله، وعزم الانتفاع به شخصياً وجماعياً، والعزم على تبليغه ونشره ومحاسبة المجتمع في ضوئه، والعمل بقوله ﷺ: «نضر الله أمرءاً سمع منا شيئاً فبلَّغه كما سمعه فربَّ مبلَّغ أوعى من سامع»[(٣)] وقد كان الإمام البخاري رحمه الله حكيماً وموفقاً، في بدء كتابه «الجامع الصحيح» بحديث: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم باب فضل ليلة القدر.

(٣) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[١].

وقد حقق الإمام بهذا البدء الشريف الحكيم غرضين، أولهما: الإشارة إلى أن جمعه للأحاديث الصحاح وتأليفه لهذا الكتاب، إنما كان ابتغاء رضوان الله، ورجاء ثوابه، وتبليغ كلام الرسول عليه الصلاة والسلام (بأصح ما ثبت وروي) إلى القراء عامة، والعلماء والمشتغلين بعلم الحديث خاصة. والغرض الثاني: حث الدارسين على تصحيح النية ابتغاء رضوان الله، وكانت خير فاتحة ومقدمة لكتاب يؤلف في الحديث الشريف[٢].

ويقترن بالإيمان والاحتساب، ومعرفة قيمة الحديث النبوي ومكانته، الأدب اللائق به، والتواضع وحمد الله تعالى على هذا التوفيق والسعادة، وقد رويت في ذلك حكايات عن المعلمين، وملقي الدروس في هذا الموضوع الجليل والتلاميذ العارفين بشرفه الشاكرين على توفيق الله تعالى لهم، ومن المحافظة على الوضوء، والتأدب والإنصات، وقد رويت عمن خالف هذا الشأن، وتناول الحديث أو كتب الحديث بالإهانة وسوء

---

(١) الجامع الصحيح للبخاري كتاب الإيمان.

(٢) وفي ذلك جواب واقناع لمن انتقد الإمام البخاري في عدم بدء كتابه بمقدمة فيها حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وإبداء الغرض وتحديد موضوع الكتاب، إذ كان ذلك خير مقدمة وخطة للكتاب.

الأدب ، والنقد اللاذع ، روايات مخيفة مرعبة ، من التورط في الإلحاد، أو التعرض لسخط الله تعالى، أعاذ الله جميع المسلمين ، والطالبين للدين من هذه العاقبة الوخيمة ، والعقوبة الذميمة .

لقد تحقق وثبت من القرآن الكريم أنه كانت مقاصد البعثة الكريمة الرئيسية الأصيلة ، تعليم الكتاب والحكمة والتزكية ، وقد جاء في القرآن الكريم .

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٥١] .

وقال : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

وقال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة : ٢] .

فكانت تزكية النفوس من المقاصد الرئيسية التي كانت لها البعثة ومن المظاهر الكبرى التي تجلت فيها معجزة النبوة المحمدية ، والشريعة الإسلامية ، والأسوة النبوية ، وهي مهمة تهذيب الأخلاق ، والتحلي بالفضائل ، والتجنب عن الرذائل والذمائم ، وكون المسلم المتخرج في هذه المدرسة النبوية

التربوية مثلاً كاملاً ، وأسوة مرموقة في السمو الخلقي ، والسلوك الإنساني ، مقتبساً في كل ذلك من مشكاة النبوة ، والتعليمات النبوية ، مصدقاً لقوله تعالى :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

وقد أطلق الله لفظ الحكمة على هذه الأخلاق والآداب في عدة مواضع(١) وقد تجلت أهمية هذه المهمة (تزكية النفوس ، وتهذيب الأخلاق) في قوله ﷺ «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(٢) .

فقد كان خير مثال له ، وأفضل أسوة فيه قال القرآن ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] .

فتجب العناية الخاصة بالاستفادة من كتب الحديث ودواوين السنة في هذا الجانب (تزكية النفوس ، وتهذيب الأخلاق ، واتباع السنة النبوية ، والتعليمات والآداب التي جاءت في كتب الحديث ودواوين السنة) والحرص والجهد لكون طالب الحديث

---

(١) راجع سورة لقمان الآية : ١٢ .

(٢) رواه مالك في «الموطأ» بلاغاً عن النبي ﷺ وقال ابن عبد البر : هو متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره ، وقد رواه الإمام أحمد في المسند بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً ، بلفظ «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» .

ـ فضلاً عن معلمه ، والمؤلف والمحقق في موضوعه ـ أسوة للناس في الأخلاق والمعاملات والسلوك والعشرة ، ومثبتاً ومبرهناً على تأثير علم الحديث والاشتغال بالسنة ، والسيرة ، في حياته وسلوكه ، ومعاملاته ومظاهره ، فيكون ذلك محرضاً للناس على التأمل في أسباب هذه الميزة والاتسام ، ودراسة الإسلام والسيرة النبوة ، فتكون خير دعوة ، وأقوى استلفات من غير دعاية وإشاعة .

ويحسن تحقيق هذا الغرض ويساعد عليه ، والعناية بدراسة الكتب الصحيحة المأثورة التي عني فيها بهذا الموضوع بصفة خاصة .

من أهمها كتاب «الأدب المفرد» لأمير المؤمنين في الحديث الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، صاحب الجامع الصحيح . والثاني كتاب «الترغيب والترهيب» للحافظ الكبير زكي الدين عبد العظيم أبي محمد المنذري الدمشقي (٥٨١ ـ ٦٥٦ هـ) والثالث «رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين» للإمام الحافظ الفقيه أبي زكريا محي الدين النووي (٦٣١ ـ ٦٧٦ هـ) شارح صحيح مسلم[(١)] .

(١) يلحق بهذه القائمة ـ مع اعتذار وتواضع ـ كتاب «تهذيب الأخلاق» . لوالد سماحة الشيخ الندوي العلامة عبد الحي بن فخر الدين الحسني رحمه الله (م ١٣٤١ هـ) طبع في المكتب الإسلامي بيروت .

وأخيراً لا آخراً يحترز بقدر الإمكان عن الهجوم بعنف وقسوة على مذهب من المذاهب الفقهية ، المعمول به من قديم الزمان ، والمؤسس على استخراج الأحكام واستنباط الآراء والقضايا من الكتاب والسنة ـ على اختلاف في الاجتهاد والمعايير ـ بحسن النية والإخلاص ، والورع والتقوى ، وإجلال الكتاب والسنة ، وإحلالهما المحل الأول ، وما كتب الله من الشيوع والانتشار ، والقبول والإقبال ، فيكون ذلك جهاداً في غير جهاد ، ونضالاً في غير عدو[1] .

وبدلا من ذلك تركز كل عناية وكل من أنعم الله به من دراسة للكتاب والسنة ، والاستدلال بالقرآن والحديث ، وكل ما أنعم

---

(١) يرجع في ذلك إلى مقدمة كتاب « الانصاف في بيان آسباب الاختلاف ، للإمام الشيخ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي رحمه الله ، صاحب «حجة الله البالغة» و«إزالة الخفاء» .
وليس معنى ذلك المنع من الدراسة المقارنة وعرض المذاهب الفقهية على الحديث ، عن دليلها ومؤيداتها في دواوين السنة وكتب الحديث المعتمد عليها ، كما فعل عدد من كبار العلماء في القديم ، إنما المقصود التجنب من القيام بحركة شعبية متحمسة ودعاية سياسية وحزبية قوية ضد المذاهب الفقهية المعمول بها في الجماهير المطابقة للكتاب والسنة مبدئياً لأنها عدت رد فعل وحركة مقاومة ليس في صالح الأمة في عصر وبيئة كثرت فيه التحديات والهجمات والأخطار والمؤامرات ضد الوجود الإسلامي ، وشرائع الإسلام .

الله به من قدرة بيانية ، ومقدرة خطابية ، واستدلالية ، للردّ على أنواع الشرك والبدع ومظاهرهما الفاشية ، وبصفة خاصة في بلاد ، دخل فيها الإسلام عن طريق الفاتحين العجم ، المغمورة بأكثرية غير إسلامية ، خاضعة لتقاليدها وعقائدها وعاداتها ، والتي طالت الفترة فيها ـ أحيانا كثيرة ـ على دراسة الحديث الشريف ، وإشاعته ونشره ، وتفهيم للقرآن الكريم ، واطلاع على تعليماته عن طريق اللغات الإقليمية والمحلية كما شأن الهند .

وليكونوا بذلك مقتفين لمناهج الإمام أحمد بن عبد الرحيم ولي الله الدهلوي ، وأبنائه وخلفائه ، خصوصاً الإمام الشيخ أحمد الشهيد رحمه الله (ش ١٢٤٦هـ) وصاحبه الإمام الشيخ إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله الدهلوي رحمه الله وأصحابهما كالشيخ ولايت على الصادق فوري البتنوي ، وأصحابه ، وخلفائه والشيخ كرامت علي الجونفوري الذي اهتدى عن طريقه إلى العقيدة الصحيحة ، والعمل بالسنة عدة ملايين من البشر في بنغلاديش وغيرها[١] .

---

(١) ليرجع في الإطلاع على تاريخ هذه الدعوة ، والقائمين بها وإمامها ، الإمام السيد أحمد الشهيد رحمه الله إلى كتاب «سيرة أحمد سيد أحمد شهيد رحمه الله» في أردو ١ ـ ٢ ورسالة «إذا هبت ريح الإيمان» ورسالة «الامام الذي لم يوف حقه من الإنصاف والاعتراف ، لسماحة الشيخ الندوي ، وكتاب « تقوية الإيمان» للعلامة الشهيد إسماعيل =

وما التوفيق إلا من عند الله[١].

إلى كل مسلم يسعى لإعلاء كلمة الله

إنَّ مسؤلية العلماء والمفكّرين المسلمين في العصر الحديث بعد مواجهتهم للتحدّيات المعاصرة، وإثباتهم أنّ الإسلام قادر على قيادتها وترشيدها والسُّموّ بها ـ هي أن يفضِّلوا الإسلام على كُلّ جماعة ومؤسَّسة، ومدرسة، وطائفة وحزب، وإذا رأوا أن بقاء الإسلام يتطلب أن تُمحى جميع الأسماء واللافتات، والشعارات والشارات، والأحزاب والجماعات، فليكن ذلك موضع غايتهم، ولا يقعنّ تلكّؤ منهم أو إحجامات للحظة واحدة، ولتكن مصلحة الدين والعقيدة مفضّلة على كل مصلحة حزبية أو جماعية. وليكن واضحاً أن الدين والإيمان وانتصارهما هو الهدف، وسواء رجع الفضل إلينا أو إلى غيرنا من الإخوان من العقيدة والدين[٢].

= ابن عبد الغني الدهلوي، وعلى الله قصد السبيل، وقد أسلم على يد السيد أحمد بن عرفان الشهيد أربعون ألف من الوثنيين والهنادك وبايعه، وتاب على يده من العقائد الضالة والأعمال والأخلاق الفاسدة ثلاثة ملايين من المسلمين.

(١) من كتاب: «المدخل إلى دراسات الحديث» لسماحة الشيخ الندوي ص: ٧٧ ـ ٧٨.

(٢) من: «قائمة مؤلفات سماحة الإمام الداعية الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي بالعربية».

هدية السماء إلى الأرض

لقد اختار الله العرب لحمل رسالة الإسلام لخصائص طبيعية، ومزايا خلقية ينفردون بها، كما قال الله أولاً عن بني إسرائيل: ﴿ وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الدخان: ٣٢] كما عقد الله بين العرب والإسلام للأبد، وربط مصير أحدهما بالآخر، فلا عز للعرب إلا بالإسلام، ولا يظهر الإسلام في مظهره الصحيح إلا إذا قاد العرب ركبه وحملوا مشعله، ولم يشوش هذا الصفاء إلا حوادث كان مصدرها أشخاص وأعراض، ولكنها جنت على هذه الأمة الميمونة، ولكن بقي العرب يعيشون بالإسلام وللإسلام، وبقي تاريخ كل منهما متصلاً بتاريخ الآخر، متداخلاً بعضه في بعض.

والعرب هم حواريو النبوة الصادقة الخاتمة وإذا كان العرب اليوم يملكون النفط، وهو هدية الأرض إلى الأرض، وإنهم يملكون ما هو أعز وأغلى وأعلى، ألا وهو الإيمان وهو هدية السماء وهدايته إلى الأرض.

ولذلك فإن حُبي وشغفي بالعرب لا يخرج أبدا من منظور قومي ضيق، أو عرقية بالية إنما يخرج من مشكاة النور التي حباهم الله تعالى بها، واختص أرضهم ولغتهم بالرسالة الخاتمة

والكتاب الخاتم، وعليهم أن يرتفعوا إلى هذا الأفق المضيء من جديد، ليفكروا للدنيا كلها بدلاً من أن يفكروا لأنفسهم.

ولقد صدق شاعر الإسلام الكبير الدكتور محمد إقبال حين قال: لا عجب إذا انقادت لي النجوم، وخضعت لي الأفلاك والكواكب، فقد ربطت نفسي بركاب سيد الخلق، العظيم الذي لا يأفل نجمه، ولا يعثر جده، إمام الرسل البصير بالسبل، الذي وطأت قدمه الحصباء فأصبحت إثمداً يكتحل به السعداء، وهل للعرب أشرف وأغلى من ذلك»[(١)].

اسمعوها مني صريحة أيها العرب

بالإسلام أعزّكم الله

لو جُمع لي العربُ في صعيدٍ واحد واستطعتُ أن أوجّه إليهم خطاباً تسمعه آذانهم، وتعيه قلوبهم لقلتُ لهم: أيها السادة! إن الإسلام الذي جاء به سيدنا محمد العربي ﷺ هو منبع حياتكم، ومِنْ أُفقه طلع صبحُكم الصادق، وأن النبي ﷺ هو مصدر

(١) من حوار سماحة الشيخ الندوي في مجلة «المجتمع» الكويتية ٩ ـ ١٥ ذو القعدة ١٤١٧ هـ.

شرفكم وسبب ذكركم ، وكل خير جاءكم - بل وكل خير جاء العالم - فإنَّما هو عن طريقه وعلى يديه ، أبى الله أن تتشرفوا إلا بانتسابكم إليه وتمسُّكِكُم بأذياله والاضطلاع برسالته، والاستماتة في سبيل دينه ، ولا رادَّ لقضاء الله ولا تبديل لكمات الله ، إن العالم العربي بحرٌ بلا ماءٍ كبحر العَروض حتى يتخذ سيدنا محمداً ﷺ إماماً وقائداً لحياته وجهاده ، وينهض برسالة الإسلام كما نهض في العهد الأول ، ويُخلص العالم المظلوم من براثن مجانين أوربا - الذين يأبون إلا أن يقبروا المدنيَّة ويقضوا على الإنسانية القضاء الأخير بأنانيتهم واستكبارهم وجهلهم - ويوجِّه العالم من الانهيار إلى الازدهار ، ومن الخراب والدَّمار والفوضىٰ والاضطراب ، إلى التقدم والانتظام ، والأمن والسلام ، ومن الكفر والطغيان إلى الطاعة والإيمان ، وإنه حق على العالم العربي سوف يُسألُ عنه عند ربه فلينظر بماذا يجيب؟![1] .

تضحية شباب العرب قنطرة إلى سعادة البشرية:

بُعث رسول الله ﷺ وقد بلغت شقاوة الإنسانية غاية ما وراءها

(١) من كتاب : «العرب والإسلام» لسماحة الشيخ الندوي ، ص ٢٩ .

غاية، وكانت قضية الإنسانية أعظم من أن يقوم لها أفراد متنعمون، لا يتعرضون لخطر ولا لخسارة ولا محنة، لهم النعيم الحاضر والغد المضمون، إنما تحتاج هذه القضية إلى أناس يضحون بإمكانياتهم ومستقبلهم في سبيل خدمة الإنسانية وأداء رسالتهم المقدسة، ويعرضون نفوسهم وأموالهم ومعائشهم وحظوظهم من الدنيا للخطر والضياع، وتجاراتهم وحرفهم ومكاسبهم للتلف والكساد، ويخيبون آمال آبائهم وأصدقائهم فيهم، حتى يقولوا للواحد منهم كما قال قوم صالح: ﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآ ﴾ [هود: ٦٢].

إنه لا بقاء للإنسانية ولا قيام لدعوة كريمة بغير هؤلاء المجاهدين، وبشقاء هذه الحفنة من البشر في الدنيا ـ كما يعتقد كثير من معاصريهم ـ تنعم الإنسانية وتسعد الأمم، ويتحول تيار العالم من الشر إلى الخير، ومن السعادة أن يشقى أفراد وتنعم أمم، وتضيع أموال وتكسد تجارات لبعض الأفراد وتنجو نفوس وأرواح لا يحصيها إلا الله من عذاب الله ومن نار جهنم.

علم الله عند بعثة الرسول ﷺ أن الروم والفرس والأمم المتحضرة المتصرفة بزمام العالم المتمدن، لا تستطيع بحكم حياتها المصطنعة المترفة أن تتعرض للخطر وتتحمل المتاعب والمصاعب في سبيل الدعوة والجهاد وخدمة الإنسانية البائسة، ولا تستطيع أن تضحي بشيء من دقائق مدنيتها وتأنقاتها في

الملبس والمأكل أن تتنزل عن حظوظها ولذاتها وزخارفها فضلاً عن حاجاتها، وأنه لا يوجد فيها أفراد يقوون على قهر شهواتهم، والحد من طموحهم، والزهد في فضول الحياة ومطامع الدنيا، والقناعة بالكفاف. فاختار لرسالة الإسلام وصحبة الرسول عليه الصلاة والسلام أُمة تضطلع بأعباء الدعوة والجهاد وتقوى على التضحية والإيثار، تلك هي الأمة العربية القوية السليمة التي لم تبتلعها المدنية ولم ينخرها البذخ والترف، وأولئك أصحاب محمد ﷺ أبر الناس قلوباً وأعمقهم علماً وأقلهم تكلفاً.

قام الرسول بهذه الدعوة العظيمة فأدى حقوقها: من الجهاد في سبيلها وإيثارها على كل ما يقف في وجهها، والعزوف عن الشهوات ومطامع الدنيا فكان في ذلك أسوة وإماماً للعالم كله، كلّمه وفد قريش وعرض عليه كل ما يغري الشباب ويرضي الطامحين من رئاسة وشرف ومال عظيم وزواج كريم، فرفض كل ذلك في صرامة وصراحة، وكلمه عمه وحاول أن يحد من نشاطه في سبيل الدعوة فقال: «يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته».

ثم كان أسوة للناس في عصره وبعد عصره بقيامه بأكبر قسط من الجهاد والإيثار، والزهد وشظف العيش وأقل قسط من

العيش وأسباب الحياة ، فقد أوصد على نفسه الأبواب وسد في وجهه الطرق وتعدى ذلك إلى أسرته وأهل بيته والمتصلين به ، فكان أكثر الناس اتصالاً به وأقربهم إليه أقلهم حظاً في الحياة ، وأعظمهم نصيباً في الجهاد والإيثار ، فإذا أراد أن يحرم شيئاً بدأ ذلك بعشيرته وبيته ، وإذا سن حقاً أو فتح باباً لمنفعة قدم الآخرين وربما حرمه على عشيرته الأقربين ، أراد أن يحرم الربا فبدأ بربا عمه العباس بن عبد المطلب فوضعه كله ، وأراد أن يهدر دماء الجاهلية فبدأ بدم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فأبطله ، وسن الزكاة وهي منفعة مالية عظيمة مستمرة إلى يوم القيامة فحرمها على عشيرته بني هاشم إلى آخر الأبد ، وكلمه علي بن أبي طالب يوم الفتح أن يجمع لبني هاشم الحجابة مع السقاية فأبى وطلب عثمان بن طلحة وناوله مفتاح الكعبة وقال: هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء ، وقال خذوها خالدة تالدة فيكم لا ينزعها منكم إلا ظالم ، وحمل أزواجه على الزهد والقناعة وشظف العيش وخيّرهن بين عشرتهن مع الفقر وضيق العيش ، ومفارقته مع السعة والرخاء وتلا عليهن قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٨ ـ ٢٩] فاخترن الله والرسول ، وتأتيه فاطمة تشكو

إليه ما تلقى في يدها من الرحى ، وبلغها أنه جاءه رقيق فيوصيها بالتسبيح والتحميد والتكبير ويقول لها : إنه خير لها من خادم . . وهكذا كان شأنه مع أهل بيته والمتصلين به فالأقرب ثم الأقرب .

وآمن به رجال من قريش في مكة فاضطربت حياتهم الاقتصادية اضطراباً عظيماً ، وكسدت تجاراتهم وحرم بعضهم رأس ماله الذي جمعه في حياته ، وحرم بعضهم أسباب الترف والرخاء وأناقة اللباس التي كان فيها مضرب المثل ، وكسدت تجارة بعضهم لاشتغاله بالدعوة وانصراف الزبائن عنه وحرم بعضهم نصيبه في ثروة أبيه .

ثم لما هاجر الرسول إلى المدينة وتبعه الأنصار تأثرت بذلك بساتينهم ومزارعهم ، فلما أرادوا أن يقبلوا عليها بعض الوقت ويصلحوها لم يسمح لهم بذلك ، وأنذرهم الله به فقال : ﴿ وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾[البقرة : ١٩٥] .

وهكذا كان شأن العرب والذين احتضنوا هذه الدعوة منهم ، فقد كان نصيبهم من متاعب الجهاد وخسائر النفوس والأموال أعظم من نصيب أي أمة في العالم وقد خاطبهم الله بقوله : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة : ٢٤] وقال : ﴿ مَا

كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ [التوبة: ١٢٠] لأن سعادة البشرية إنما كانت تتوقف على ما يقدمونه من تضحية وإيثار، وما يتحملون من خسائر ونكبات فقال: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [البقرة: ١٥٥] وقال: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢] وكان إحجام العرب عن هذه المكرمة وترددهم في ذلك امتداداً لشقاء الإنسانية، واستمراراً للأوضاع السيئة في العالم فقال: ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٧٣].

وقد وقف العالم في القرن السادس المسيحي على مفترق الطرق إما أن يتقدم العرب، ويعرضوا نفوسهم وأموالهم وأولادهم وكل ما يعز عليهم للخطر، ويزهدوا في مطامع الدنيا، ويضحوا في سبيل المصلحة الاجتماعية بأنانيتهم فيسعد العالم، وتستقيم البشرية، وتقوم سوق الجنة، وتروج بضاعة الإيمان، وإما أن يؤثروا شهواتهم ومطامعهم وحظوظهم الفردية على سعادة البشرية وصلاح العالم، فيبقى العالم في حمأ الضلالة والشقاء إلى ما شاء الله، وقد أراد الله بالإنسانية خيراً وتشجع العرب ـ بما نفخ فيهم محمد ﷺ من روح الإيمان والإيثار وحبب إليهم الدار الآخرة وثوابها ـ فقدموا أنفسهم فداء للإنسانية كلها، وزهدوا في مطامع الدنيا طمعاً في ثواب الله

وسعادة النوع الإنساني ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، وضحوا بكل ما يحرص عليه الناس من مطامع وشهوات وآمال وأحلام ، وأخلصوا لله العمل والجهاد ، فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين .

وقد استدار الزمان كهيئته يوم بعث الرسول ووقف العالم على مفترق الطرق مرة ثانية إما أن يتقدم العرب ـ وهم أمة الرسول وعشيرته ـ إلى الميدان ويغامروا بنفوسهم وإمكانياتهم ومطامحهم ، ويخاطروا فيما هم فيه من رخاء وثراء ودنيا واسعة ، وفرص متاحة للعيش وأسباب ميسورة ، فينهض العالم من عثاره وتتبدل الأرض غير الأرض ، وإما أن يستمروا فيما هم فيه من طمع وطموح ، وتنافس في الوظائف والمرتبات وتفكر في كثرة الدخل والإيراد وزيادة غلة الأملاك وربح التجارات والحصول على أسباب الترف والتنعم ، فيبقى العالم في هذا المستنقع الذي يتردى فيه منذ قرون .

إن العالم لا يسعد وخيرة الشباب في العواصم العربية عاكفون على شهواتهم ، تدور حياتهم حول المادة والمعدة لا يفكرون في غيرهما ، ولا يترفعون عن الجهاد في سبيلهما ، ولقد كان شباب بعض الأمم الجاهلية الذين ضحوا بمستقبلهم في سبيل المبادىء التي اعتنقوها أكبر منهم نفساً ، وأوسع منهم فكراً ، بل كان الشاعر الجاهل «امرؤ القيس» أعلى منهم همة ، إذ قال :

ولــو أنــي أسعــى لأدنــى معيشــة
كفاني ولم أطلب قليلاً من المال
ولكنمــا أسعــى لمجــد مــؤثــل
وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

إن العالم لا يمكن أن يصل إلى السعادة إلا على قنطرة من جهاد ومتاعب يقدمها الشباب المسلم. إن الأرض لفي حاجة إلى سماد، وسماد أرض البشرية الذي تصلح به وتنبت زرع الإسلام الكريم هي الشهوات والمطامع الفردية؛ التي يضحي بها الشباب العربي في سبيل علو الإسلام وبسط الأمن والسلام على العالم، وانتقال الناس من الطريق المؤدية إلى جهنم إلى الطريق المؤدية إلى الجنة.

إنه لثمن قليل جداً لسلعة غالية جداً[١].

نصيحته لأئمة المسلمين وعامتهم

هل يمكن أن تتوجهوا بنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم؟.

أعتقد أن العالم الآن، ليس العالم الإسلامي بل العالم

(١) من «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» لسماحة الشيخ الندوي، ص ٢٨٨ ـ ٢٩٢.

الإنساني ، على مفترق طريق . . ونعيش في دور حاسم مُقرر للمصير . فيجب على المسلمين أن ينقذوا الإنسانية وأن يقوموا في أقرب وقت ليأخذوا بزمام الإنسانية ، بتوجيه الإنسانية وألا يفلتوا الزمام فتفوت الفرصة .

وقد أخفق المعسكران جميعاً على ما عندهما من محاولات لتغطية هذا الفشل . ولكن قد أخفقا إخفاقاً ذريعاً . . المعسكر الغربي والمعسكر الشرقي ، ولا أمل إلا في الإسلام والمسلمين ، لذلك لابد أن يعرف المسلمون رسالتهم ، وأن تعرف حكوماتنا الإسلامية ومجتمعاتنا الإسلامية رسالتها ، وتعرف القوة الكامنة ، وتعتمد على شعوبها . . وأنا أعتقد كما قلت في كثير من المناسبات أن الشعوب الإسلامية من أقوى الشعوب البشرية ومن أسلمها ومن أكثرها إخلاصاً وحماساً . فإذا استعانت الحكومات بهذه الشعوب واعتمدت عليها من غير أن تكون هنالك حرب بين الحكومات والشعوب كما هو واقع الآن . . الآن المؤسف ، إن المعركة الوحيدة القائمة على قدم وساق هي المعركة بين بعض الحكومات والشعوب ، لا أطلق القول إطلاقاً لكنْ أقول الكثير من الحكومات الإسلامية ، والشعوب الإسلامية .

فالقوة الآن تضيع في جهاد من غير جهاد . . في غير ساحات العدو . فإذا عرفت الحكومات ، حكوماتنا العربية والمتسمية بالإسلام ، إذا عرفت قيمة هذه الشعوب واعتمدت عليها

واستعانت بها وأثارت ما عندها من كنوز ، تستطيع أن تكون أقوى معسكر وأقوى جبهة حماسية. [لخصائص العقيدة وخصائص الشعوب].. والذين جابوا البلاد ، والمتبصرون يقولون: إن الشعوب الإسلامية في الشرق هي من أفضل الشعوب إطلاقاً.. يمكن أن يُعتمد عليها. لأن الشعوب غير الإسلامية كلها ، إما منافقة وإمَّا منحرفة.. الإخلاص الذي يوجد عند المسلمين على ضعفهم. ليس له نظير ولا يوجد في غيرهم.. والكلمات الدينية: الله ، الرسول ﷺ الشهادة في سبيل الله ، الجهاد.. لا يزال لها سحر في نفوس المسلمين ، ليس لأي كلمة عند أي شعب. فيمكن أن تساق وأن تثار ، وأن تحرك الشعوب وتؤثر على العالم لأن هذه المعاني قد فقدت قيمتها ، وفقدت مفهومها عند شعوب العالم[١].

فقه الداعية وثقافته

إننا نرى في العالم الإسلامي كثيراً من الإخلاص الآن. لكنَّ المشكلة أن هذا الإخلاص قد يوظف في غير المكان المجدي أو في غير الطريق الشرعيّ أو قد يجنح عن الطريق الشرعي ، أو قد نكون عاجزين عن تقديم الأوعية الشرعية لهذا الإخلاص كقيادات

(١) من حوار سماحة الشيخ الندوي في مجلة «الأمة» القطرية.

لترشيده. وبذلك يمكن أن يعود على صاحبه وعلى المجتمع الإسلامي ببعض المساوىء أو أن يساهم سلبياً في الإساءة للإسلام دون أن يقصد ذلك!!.

في الحقيقة هذا سؤال دقيق والجواب سيكون أدقّ منه، لأن الدعوة هي من المقاصد التي ما يمكن أن ترسم لها خطوط وحدود، لأنها ترجع إلى وعي الداعي وإلى الحكمة. فكما يقول بعض بلغاء الغرب إن الحرب والحكم ما لهما ضوابط وحدود مرسومة. كذلك أنا أعتقد أن الدعوة الإسلامية لا يمكن أن نحدد لها حدوداً مرسومة وضوابط صارمة.. هذا يرجع إلى دراسة الداعي للبيئة وللظروف وللمستويات العقلية المختلفة التي يتحلى بها الشباب مثلاً أو بعض الطبقات.. فلا نستطيع أن نقول: ينطلق من هنا ويقف هناك ثم ينطلق من هنا ويقف هناك، ليس هناك دليل مثل دليل القطار مثلاً أو مثل دليل البلد مثلاً الأمر يرجع إلى فقه الداعي، هذا الفقه الذي يقوم على دراسة السيرة النبوية دراسة عميقة ودقيقة ويتوقف على دراسة القرآن كذلك دراسة دقيقة وعميقة، وعلى سير الأنبياء وأحوالهم مع أممهم، ومعرفة نفسيات الشباب. كذلك يحتاج إلى شيء من علم النفس وإلى العقل المؤمن المودع في نفس الداعية[١].

(١) من حوار سماحة الشيخ الندوي في مجلة «الأمة» القطرية.

الزهد في الدنيا وصلته بالإصلاح والتجديد

وقال حنبل: ما كان في حياته ربما استعار الشيء من منزلنا ومنزل ولده. فلما صار إلينا من مال السلطان ما صار، امتنع عن ذلك، حتى وصف له في علته قرعة تشوى ويؤخذ ماؤها، فلما جاؤوا بالقرعة. قال بعض من حضر: اجعلوها في تنور يعني في دار صالح فإنهم قد خبزوا. فقال بيده: لا!

وكان لا يرى حرمة هذه الأموال. ولكنه يرى أنها أخذت من غير حل وقد تعَلَّقتْ بها حقوق المسلمين وقلوبهم. فكان يتحاشى أخذها ويتأثم من قبولها وقد قال مرة لأولاده: «لم تأخذونه والثغور معطلة غير مشحونة. والفيء غير مقسوم بين أهله؟»[1].

وهنا نقف وقفة قصيرة ونتساءل، لم كان هذا التشديد من أحمد؟ ولماذا هذه المغالاة؟ وأقول: لولا هذه الصرامة، ولولا هذا التدقيق في الزهد والعزوف عن أموال السلطان، ولولا هذه

(١) المناقب ص: ٣٨٤.

المحافظة الشديدة على منهج الحياة الذي التزمه أحمد بن حنبل ، لما استطاع أن يستعصي على هذه الدولة القوية ، وأن يفلت من حبالها ، ولما استطاع أن يمثل هذا الدور الرائع في تاريخ الإصلاح والتجديد والدفاع عن الدين ، وأن يؤثر في عقول الناس وقلوبهم هذا التأثير العظيم ، وأن يقف طوداً شامخاً ، وجبلاً راسياً ، في هذه التيارات التي تجرف الرجال وتحرك الجبال .

ثم إنه بهذا الزهد والتوكل على الله استفاد قوة روحية ، وصلة عميقة بالله ، وإنابة إليه ، استحق بها النصر وتغلب على نزوات النفس وشهواتها .

وقد رأينا الزهد والتجديد مترافقين في تاريخ الإسلام؛ فلا نعرف أحداً ممن قلب التيار ، وغير مجرى التاريخ ، ونفخ روحاً جديدة في المجتمع الإسلامي أو افتتح عهداً جديداً في تاريخ الإسلام ، وخلف تراثاً خالداً في العلم والفكر والدين ، وظل قروناً يؤثر في الأفكار والآراء ، ويسيطر على العلم والأدب إلا وله نزعة في الزهد ، وتغلب على الشهوات ، وسيطرة على المادة ورجالها ، ولعل السر في ذلك أن الزهد يكسب الإنسان قوة المقاومة ، والاعتداد بالشخصية والعقيدة ، والاستهانة برجال المادة ، وبصرعى الشهوات ، وأسرى المعدة . ولذلك ترى كثيرا من العبقريين والنوابغ في الأمم ، كانوا زهاداً في الحياة ، متمردين على الشهوات ، بعيدين عن الملوك والأمراء

والأغنياء في زمانهم ، لأن الزهد يثير في النفس كوامن القوة ، ويشعل المواهب ، ويلهب الروح . والدعة والرخاوة تبلد الحس ، وتنيم النفس ، وتميت القلب[١] .

إيجاد الوعي في الأمة:

إن أخوف ما يخاف على أمة ويعرضها لكل خطر ويجعلها فريسة للمنافقين ولعبة العابثين هو فقدان الوعي في هذه الأمة ، وافتتانها بكل دعوة واندفاعها إلى كل موجة وخضوعها لكل متسلط وسكوتها على كل فظيعة وتحملها لكل ضيم ، وألاّ تعقل الأمور ولا تضعها في مواضعها ولا تميز بين الصديق والعدو وبين الناصح والغاش ، وأن تلدغ بجحر مرة بعد مرة ، ولا تنصحها الحوادث ، ولا تروعها التجارب ، ولا تنتفع بالكوارث ، ولا تزال تولي قيادها من جربت عليه الغش والخديعة والخيانة والأثرة والأنانية والجُبن والعجز ، والخُرق والطّيش ، وكان سبباً للهزيمة والذلّة ، ولا تزال تضع ثقتها فيه ، وتمكنه من نفسها وأموالها وأعراضها ومفاتيح ملكها ، وتنسى

(١) من كتاب : «رجال الفكر والدعوة» لسماحة الشيخ الندوي الجزء الأول ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .

سريعاً ما لاقت على يده من الخسائر والنكبات فيجترىء بذلك السياسيون والمحترفون ، والقادة الخائنون ويأمنون سخط الأمة ومحاسبتها ، ويتمادون في غيهم ، ويسترسلون في خياناتهم وعبثهم ثقة ببلاهة الأمة وسذاجة الشعب وفقدان الوعي .

إن الشعوب الإسلامية والبلاد العربية ـ مع الأسف ـ ضعيفة الوعي ـ إذا تحرجنا أن نقول : فاقدة الوعي ـ فهي لا تعرف صديقها من عدوها ولا تزال تعاملهما معاملة سواء أو تعامل العدو أحسن مما تعامل الصديق الناصح ، وقد يكون الصديق في تعب وجهاد معها طول حياته بخلاف العدو ، ولا تزال تلدغ بجحر واحد ألف مرة ولا تعتبر بالحوادث والتجارب . وهي ضعيفة الذاكرة سريعة النسيان تنسى ماضي الزعماء والقادة ، وتنسى الحوادث القريبة والبعيدة ، وهي ضعيفة في الوعي الديني والوعي الاجتماعي وأضعف في الوعي السياسي ، وذلك ما جر عليها ويلاً عظيماً وشقاء كبيراً ، وسلط عليها القيادة الزائفة ، وفضحها في كل معركة .

إن الأمم الأوروبية ـ برغم إفلاسها في الروح والأخلاق وبرغم عيوبها الكثيرة التي بحثنا عنها في هذا الكتاب ـ قوية الوعي ـ الوعي المدني والسياسي ـ قد بلغت سن الرشد في السياسة ، وأصبحت تعرف نفعها من ضررها ، وتميز بين الناصح والخادع ، وبين المخلص والمنافق ، وبين الكفء

والعاجز ، فلا تولي قيادها إلا الأكفاء الأقوياء الأمناء ، ثم لا توليهم أمورها إلا على حذر ، فإذا رأت منهم عجزاً أو خيانة أو رأت أنهم مثلوا دورهم وانتهوا من أمرهم استغنت عنهم وأبدلت بهم رجالاً أقوى منهم وأعظم كفاءة وأجدر بالموقف ، ولم يمنعها من إقالتهم أو إقصائهم من الحكم ماضيهم الرائع وأعمالهم الجليلة وانتصارهم في حرب ، أو نجاحهم في قضية . وبذلك أمنت السياسيين المحترفين ، والقيادة الضعيفة أو الخائنة ، وخوف ذلك الزعماء ورجال الحكم ، وكانوا حذرين ساهرين يخافون رقابة الأمة وعقابها وبطش الرأي العام .

فمن أعظم ما تخدم به هذه الأمة وتؤمن من المهازل والمآسي التي لا تكاد تنتهي هو إيجاد الوعي في طبقاتها ودهمائها ، وتربية الجماهير التربية العقلية والمدنية والسياسية . ولا يخفى أن الوعي غير فشو التعليم وزوال الأمية وإن كانت هذه الأخيرة من أنجح وسائلها ، وليعرف الزعماء السياسيون والقادة أن الأمة التي يعوزها الوعي غير جديرة بالثقة ، ولا تبعث حالتها على الارتياح وإن أطرت الزعامة والزعماء وقدستهم فإنها ـ ما دامت ضعيفة الوعي ـ عرضة لكل دعاية وتهريج وسخرية كريشة في فلاة تلعب بها الرياح ولا تستقر في مكان[1] .

---

(١) من «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» لسماحة الشيخ الندوي ، ص ٢٧٩ ـ ٢٩٨ .

كنتم خير أمة أخرجت للناس

وإن من واجب المسلم أنه أينما كان؛ يعتبر نفسه مسؤولاً عن مجتمعه، ولا يتعامى عن الأخطار بدس الرأس في الرمل مثل النعامة، ولا يردِّدُ درس «كل شيء على ما يرام» فإن على المسلم حقاً ـ في كل مكان ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بالإصلاح وإزالة الفساد، وليحسب نفسه راكباً سفينة الحياة التي إذا غرقت غرقت مع الجميع، ولا أروع وأجمل من مَثَلٍ ضَرَبَهُ الرسول ﷺ لذلك، فلم أجد له مثيلاً في آداب أي ديانة وفلسفة أخلاق، روى النعمان بن بشير عن النبي ﷺ أنه قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً».

(رواه البخاري في كتاب الشركة)[١]

---

(١) من كتاب: «في مسيرة الحياة» لسماحة الشيخ الندوي، الجزء الأول ص٣٣٨ ـ ٣٣٩.

الحاجة إلى معرفة قدر نعمة الإسلام والشكر عليها

وقد ذكرت فيه بعض الحوادث الماضية ، وشددت النكير على انتهاك الحرمات ، وتناسي نعمة الإيمان ، وصلة الإسلام ، وحقوق المسلم ، واحترام نفسه وعرضه وماله ، واستنكرت تلبية كل نعرة وهتاف ، والاندفاع وراء كل حركة ودعوة وبينت خطر ذلك على الدين والأمة الإسلامية ، فلا يجوز الإعجاب بكل ما يبهر الألباب ، ويخدع النفوس ، وينفِّس عن العواطف المكبوتة ، وتلوت عليهم بعض قصص بني إسرائيل التي تشبه هذه الحوادث والأدواء الحالية ، وانتقدت الجاهلية القومية واللغوية والسُّلالية التي تصل إلى حد الكفر والظلم والعدوان ، والضراوة بالدماء وقتل المسلمين الأبرياء[1] .

---

(١) من كتاب : «في مسيرة الحياة» لسماحة الشيخ الندوي الجزء الثاني ص ٤٢ .

القرآن وسيرة محمد ﷺ قوتان عظيمتان

والقرآن وسيرة محمد ﷺ قوتان عظيمتان تستطيعان أن تشعلا في العالم الإسلامي نار الحماسة والإيمان ، وتحدثا في كل وقت ثورة عظيمة على العصر الجاهلي ، وتجعلا من أمة مستسلمة ، منخذلة ناعسة ، أمة فتية ملتهبة حماسة وغيرة وحنقاً على الجاهلية وسخطاً على النظم الجائرة .

إن علة العالم الإسلامي اليوم هو الرضا بالحياة الدنيا والاطمئنان بها ، والارتياح إلى الأوضاع الفاسدة والهدوء الزائد في الحياة ، فلا يقلقه فساد ، ولا يزعجه انحراف ، ولا يهيجه منكر ، ولا يهمه غير مسائل الطعام واللباس ، ولكن بتأثير القرآن والسيرة النبوية ـ إن وجدا إلى القلب سبيلاً ـ يحدث صراع بين الإيمان والنفاق ، واليقين والشك ، بين المنافع العاجلة والدار الآخرة ، وبين راحة الجسم ونعيم القلب ، وبين حياة البطالة وموت الشهادة ، صراع أحدثه كل نبي في وقته ، ولا يصلح العالم إلا به؛ حينئذ يقوم في كل ناحية من نواحي العالم الإسلامي ، بل في كل أسرة إسلامية في كل بلد إسلامي ﴿ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ

﴿فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٣ ـ ١٤].

هنالك تتجدد ذكرى بلال، وعمار، وخباب، وخبيب، وصهيب، ومصعب بن عمير، وعثمان بن مظعون، وأنس بن النضر، هنالك تفوح روائح الجنة، وتهب نفحات القرن الأول، يولد للإسلام عالم جديد لا يشبه العالم القديم في شيء[1]..

منّة البعثة المحمدية على الإنسانية

إن هذه الجزيرة يجب أن تعرف نعمة الإسلام وأن لا تكون كنوداً، اسمحوا لي أن أقول بكل صراحة ألا تكون كنوداً أمام هذه النعمة الجسيمة التي أخرجت جزيرة العرب من عالم الخمول، ومن عالم التناحر، ومن الجاهلية الشنعاء الرذيلة الخسيسة، الموغلة في السفالة والجهالة، وأخرجت هذه البعثة المحمدية هذه الجزيرة العربية من لا شيء إلى كل شيء فكل ما جاء في هذه الجزيرة هو من فضل البعثة المحمدية، وإنني

(١) من «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» لسماحة الشيخ الندوي، ص ٢٧٨.

استحضر الآن بيتاً لشاعرنا شاعر الإسلام الذي أصبح ترجماناً للفتوة الإسلامية وللشهامة الإسلامية ، الدكتور محمد إقبال ، اسمحوا لي أن أنشده أولاً بلغته التي قال فيها هذا الشعر ، فإن هناك عدداً من إخواننا الباكستانيين :

ازدم سيـــــرابِ آل أمّـــــي لقـــــب
لا لـه رُسـت درريـك صحـراء عـرب

يقول : لقد هبت نفحة من نفحات محمد النبي الأمي عليه الصلاة والسلام ، وفاضت قطرة من ماء الحياة من فمه الذي لم يكن ينطق إلا بالوحي ، فنشأت جنات وحدائق ، وفاحت روائح عبير من صحراء العرب .

قدِّروا أيها الإخوان ، ارجعوا إلى الماضي السحيق ، وليس سحيقاً ، ارجعوا إلى الماضي القريب ، وما يوم حليمة بسرٍّ ، وما قضية أربعة عشر قرناً بقضية كبيرة معقدة ، ارجعوا إلى الماضي القريب ، أين كانت الجزيرة العربية؟ ، أين كانت الأمة العربية؟ أين كانت هذه الإمارات ـ رغم دعائي وتقديري لها ـ أين كانت المملكة العربية السعودية حفظها الله وصانها من الفتن ، أين كانت باكستان وأين كانت إيران؟ وأين كنا؟ نلتقي نحن في هذا الملتقى الكريم ، ملتقى السيرة النبوية ، ملتقى السنة النبوية ، لا والله لو مرت الآلاف من السنين ، ولو حلم الحالمون وتغنَّى الشعراء ، وكتب الأدباء ، وتكهَّن الكهان ، لما قُدّر لهذه

الأمة العربية ، ولما قُدّر لهذه الجزيرة العربية أن ترتفع لها راية وأن تسمع لها كلمة[١] .

من هم الأساتذة الذين أثَّروا في مسيرتك ورؤيتك الدعوية؟

في مجال الدعوة والفكر من هم الأساتذة الذين أثَّروا في مسيرتك ورؤيتك الدعوية؟

* أكثر من تأثرت به هو إمام الدعوة إلى الله الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي «ابنه محمد يوسف الكندهلوي هو صاحب كتاب حياة الصحابة» كأن هذا الرجل مأمور من الله ، لا أقول عن طريق الرسالة أو الوحي ، ولكنه كان مقيضاً لهذا الأمر ، وقد استولت عليه هذه الفكرة حتى ذاب فيها ودعا إلى الاتصال بالشعب اتصالاً مباشراً وتوجيه الدعوة إليه ولفت نظره ، واستقطابه إلى رسالة الله تبارك وتعالى والعمل بالإسلام وبشريعته وبأحكامه ، وانتشرت هذه الدعوة لا في الهند فقط ، ولكن في القارة الآسيوية ثم انتقلت إلى أوروبا وأمريكا ، ولا تزال هذه

(١) من كتاب : «في مسيرة الحياة» لسماحة الشيخ الندوي الجزء الأول ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦ .

الدعوة قائمة ، وهي من أكثر الدعوات تأثيراً وإنتاجاً[١] .

الاعتزاز بالإنسانية

في هذا المجتمع الثائر على الإنسانية الذي كفر بالإنسان وقيمته ومركزه في هذا العالم ، قام مولانا جلال الدين الرومي ، يمثل الفكرة الإسلامية الصحيحة في شعره الرنان ويثير كرامة الإنسان المطمورة في أنقاض الأدب المتشائم ، والشعر المتراجع المنهزم ، وبدأ يتغنى بكرامة الإنسان وفضل الإنسانية في حماسة وإيمان وبلاغة حتى دب في المجتمع دبيب الحياة ، وأصبح الإنسان يعرف شرفه وكرامته وترنح بهذا الرجز والحداء القوي (الأدب الإسلامي) كله وردده الشعراء وضربوا على وتره ، وانطلقت في عالم التصوف موجة جديدة تستحق أن تسمى «الاعتزاز بالإنسانية» .

يذكِّر جلال الدين الرومي قراء شعره وتلاميذه ، أن الله سبحانه وتعالى قد خص الإنسان بأحسن تقويم : فقد قال : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين : ٤] وإن هذا اللباس الفضفاض

(١) من حوار سماحة الشيخ الندوي في مجلة «المجتمع» الكويتية عدد ١٣٣٨ .

قد فصل على قامة الإنسان؛ فلا يطابق كائناً آخر ويحث قارئه على دراسة سورة (التين) والتدبر في معانيها، وأن يحسب لكلمة (أحسن تقويم) حساباً خاصاً فإنها ميزة للإنسان لا يشاركه فيها غيره[١].

منهج التبليغ والدعوة

• **هناك جماعة التبليغ والدعوة وقد انطلقت من الهند كيف ترون المنهج والوسيلة؟**

هذا عمل مشكور جداً، وإن كان يجب أن يكون فيه بعض من السعة والإلمام بنفسية الشباب والمثقفين الجدد، ومراعاة فهمهم وتقديرهم، ومراعاة أساليب تفكيرهم، وفي نطاق العمل لديهم محدود وهو الاعتقاد الصحيح والعمل بالفرائض، أما تثقيف العقول وتهيئة الشباب والجيل الجديد للتأثير في المتعلمين المثقفين وفي القادة فهذا قد يغفل عندهم.

• **في مجال الدعوة إلى الله تجتهد الأمة، وتبرز جماعات، كل جماعة تختط منهجاً للتغيير الإسلامي تُـرَى ما منهج التغيير الأمثل في رؤيتكم؟**

---

(١) من كتاب: «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» لسماحة الشيخ الندوي الجزء الأول ص ٢٩٩.

هو إنشاء الجيل الجديد على الفهم للدين فهماً صحيحاً أصيلاً وواسعاً، وملائماً لهذا العصر، يكون البدء بالتثقيف العقلي، وبإنشاء العقلية والنفسية الإسلامية، لا نغفل العوامل المستوردة من الخارج والزاحفة من أوروبا التي تؤثر الآن، يجب ألا نتغافل عنها بل نعيرها شيئاً من العناية، ونعتقد أنها هي التي تصوغ الآن العقول والشباب والقيادات كذلك[١].

مواضع ضعف في سيرتنا وشخصيتنا القومية

١ ـ إيثار المصالح والمنافع على الأخلاق والمبادىء والمعايير الخلقية.

٢ ـ الغفلة عن مواجهة تحديات العدو العالمي الأصيل (أوروبا والحضارة الأوروبية).

٣ ـ قلة العمل، والجبن والخوف.

(١) من حوار سماحة الشيخ الندوي في مجلة «المجتمع» الكويتية عدد ١٣٣٨.

٤ ـ الطاعة العمياء للقيادة القومية العلمانية .

٥ ـ التبذل والعاطفية الحادة في الخطب والمقالات ، وإبداء العواطف والخلاف ، وقد كنت كتبت معلقاً على الجبن وقلة العمل :

(لقد نشأ في المسلمين من الانحطاط العقلي والإسفاف الخلقي أنهم يشمتون بمصائب غيرهم ، ويتربصون بهم الدوائر ، وقد بلغت أخلاقهم من الانحلال والتسفّل أنهم فقدوا الاعتراف بجراءة غيرهم واستماتتهم وتضحياتهم ، وإن يأس المسلمين من أنفسهم وثقتهم بغيرهم ، وشعورهم الزائد بضعفهم وتقديرهم الزائد لقوة غيرهم وانصرافهم إلى قضايا الأكثرية والأقلية ، كل ذلك نتيجة من نتائج التعليم الغربي والسياسة الغربية ، التي تعودت أن تنظر إلى المسلمين كشعب خامد جامد ، ولا تستطيع أن تخرج من طلاسم الأعداد)[1] .

(١) من كتاب : «في مسيرة الحياة» لسماحة الشيخ الندوي الجزء الأول . ص ١٨٠ ـ ١٨١ .

لا لمفهوم المؤامرة!

● في هذا النظر التاريخي المهم : ما رؤيتكم في المفهوم القائل إن المسلمين تفرض عليهم المؤامرات وبالتالي يفسر عجزهم الحالي بأنه نتاج ما يحاك لهم من مؤامرات ، دون محاولة تفسير الأمر على نحو أخر بأن تفهم الأمة أن الحرية لا تمنح ، وإنما يتم الحصول عليها ويبذل في سبيلها الجهد؟

الحقيقية أن المسلمين مصابون بمركب النقص ، ويتقنون الانسحاب والانهزام فالآن أصبحوا يرحبون بكونهم بتمتعهم بشيء من الحرية ، من غير أن يكون لهم تأثير عالمي في سبك الحياة وصياغتها ، وفي صياغة المستقبل كذلك فالواجب الأول والكبير هو أن يرفع تفكير المسلمين ومستواهم العقلي من كونهم تلاميذ وأتباعاً وسائبة إلى كونهم قادة .

● في كيفية وصول هذا المفهوم : المسلمون بين تفكيرين : تفكير ينظر للأمر على أن هناك مؤامرة عالمية ولن يستطيعوا الانفلات منها ، يعللون بذلك قصورهم في النواحي العلمية كافة . ولكن تفكيراً آخر يرى أن الارتكان للمؤامرة التي تحاك يعطل العمل

ويجب على المسلمين أن يحصلوا على حقهم في القيادة والعمل بجهدهم وزادهم؟

أنا أوافق على هذا المفهوم الأخير ، ولا أوافق على تفكير المؤامرة[1] .

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟

في الحقيقة إن العالم قد خسر جوهره ، خسر أغلى ما عنده وأحوج ما يكون إليه ، وقد خسر قيمته بانحطاط المسلمين ، لأن المسلمين هم الذين كانوا يضفون على هذا العالم القيمة المعنوية وجدارة الحياة والبقاء والغاية الرشيدة التي يتجه إليها العالم!!!

«ما هي غاية الحياة؟ لماذا خلق الإنسان؟ لماذا خلق هذا الكون؟ لماذا خلقت هذه الوسائل الكثيرة الوفيرة التي بثها الله في الأرض والجو؟ لماذا أودع الله هذه القوة الهائلة في العقل الإنساني؟ هذه كلها أسئلة وجيهة ، كان المسلمون هم الذين يعللون ويفسرون هذه الخصائص البشرية ، والتي تمتاز بها البشرية ، وكان المسلمون وحدهم حاملي رسالة أكرمهم الله تعالى بها عن طريق محمد خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام ،

---

(١) من حوار سماحة الشيخ الندوي في مجلة «المجتمع» الكويتية عدد ١٣٣٨ .

وكان للمسلمين وحدهم أن يفسروا هذا المخطط الدقيق الواسع الشامل الذي خلق الله عليه الكون ، وهذه الحكمة الدقيقة العميقة التي خلق الله لأجلها الإنسان ، واستخلفه في هذه الأرض[١].

صور التربية الإسلامية

• **قدمتم منذ عشرات السنين صورة رائدة للتربية الإسلامية ، وفي ضوء تغير العصر : كيف ترون ملامح التربية الإسلامية الآن : هل ما زالت تسير في إطار التلقي المباشر أم أن لها صورة أخرى؟**

هناك مؤثرات في التربية مثل أن يكون التلميذ على صلة بأستاذه كأن يسافر معه ويقضي معه أياماً ، ويرى كيف يحافظ على إيمانه وواجباته لا تكون الصلة بين التلميذ والأستاذ صلة كتاب فقط وتدريس فقط ، بل كما كان في الزمن القديم ، أكثر نفعاً وأجدى أن يكون التلاميذ على صلة دائمة ومباشرة بأساتذتهم ، يقضون معهم أوقاتاً ويسافرون معهم يخدمونهم يرونهم كيف يصلون ، وكيف يقرؤون القرآن ، وكيف تكون آثار القراءة وآثار العبادة والعلم عليهم .

(١) سماحة الشيخ الندوي (في محاضرة ألقاها في جامعة الملك سعود بجدة) .

• هل يمكن أن يكون ذلك في المدارس النظامية الآن؟

يمكن أن يتم ذلك إذا كان هناك شيء من الاجتهاد والذكاء يجب ألا تكون صلة التلميذ باستاذه محصورة ومحدودة في المدرسة يجب أن تكون هذه الصلة أوسع مما هي الآن؟

• في الماضي كان الأبوان ينصّران أو يمجّسان أو يُهوِّدان أو يسلِّمان الأبناء ، أما اليوم فربما كان لمؤثرات أخرى مثل التلفاز وغيره دور يقارب دور الأبوين كيف يمكن أن يقابل الجيل الجديد هذه التربية الجديدة؟

يجب أن يكون الأساتذة في المدارس مؤثرين ومختارين ، وعارفين بنفسية الشباب ونفسية الصغار ، وحريصين على سبك الجيل الجديد وصوغه صوغاً إسلامياً ، فلا يعتمد فقد على الشهادات التي ينالها هؤلاء الأساتذة من الجامعات ، بل يلاحظ مدى اتصالهم بالدين اتصالاً عملياً ، ومدى اقتناعهم بمبادىء الدين وأهدافه ، ويكون عندهم شيء من الامتحان العملي في عملهم بالسنة ، في أخلاقهم ويكون عندهم شيء من الزهد في حطام الدنيا ، وكما كان في السلف ، حيث كان الأساتذة هم القدوة ، وكانوا هم المثل الأعلى للسلوك والإيمان ، وللعلم والدراسة كذلك .

أما الآن فقد أصبح اتصال الأستاذ بالتلميذ ، في الجامعة

ضيقاً ، محصوراً في ساعات الدراسة[١] .

فراغ لا يملأه إلا المسلم العربي

هذا هو الفراغ الوحيد الموجود الآن في خارطة العالم الإنساني ، ولا يملأ هذا الفرغ إلا المسلم ، ولا تملأ هذا الفراغ إلا الأمة العربية الإسلامية لقد كانت رائدة للإنسانية في القرن السابع وما بعده من القرون ، ولا تزال رائدة للرسالة الإسلامية الإنسانية في هذا القرن ، لو عرفت قيمتها ، ولو عرفت منابع قوتها ، ولو عرفت ضخامة رسالتها ، ولو عرفت عظم مسؤوليتها ، فمتى تنهض الأمة العربية الإسلامية وتحمل الرسالة من جديد والنور الوحيد وهو نور الإسلام ، وهو النور الذي لا يزال عند العرب في صفحات القرآن وفي صفحات السيرة النبوية ، وإننا أبناء القارة الهندية لننظر إلى هذه الجزيرة كأمة رائدة وكحاملة لهذه لرسالة»[٢] .

---

(١) من حوار سماحة الشيخ الندوي في مجلة «المجتمع» الكويتية عدد ١٣٣٨ .

(٢) من كتاب : «الإسلام والحضارة الإنسانية» لسماحة الشيخ الندوي ص ٣٧ .

مناهج العمل الدَّعَويّ

• **برغم الخيرية التي تنبع منها مناهج العمل الدعوي والفكري الإسلامي ، فإن هناك اختلافاً بين هذه المناهج ، فمنهجكم في ندوة العلماء يختلف عن منهج الأستاذ أبي الأعلى المودودي في حركة التغيير وفقه الدعوة هل يمكن لنا أن نتبين ذلك؟**

ليس هناك اختلاف مبدئي ، إنما هو اختلاف في الأسلوب ، وفي التقديم والتأخير ، وفي الترجيح فإن الأستاذ المودودي يتغلب على أسلوبه الدعوى الجانب السياسي ، فهو يفسر الإسلام تفسيراً سياسياً ، وكان هذا شيئاً طبيعياً لا نلومه عليه ، ولكن يجب أن يكون تفهيم الدين الإسلامي كدين خالد صالح لكل جيل ، وصالح لكل فترة زمنية ، ولكل مجتمع ، ولكل عصر يجب أن تتحكم فيه الأصول الدينية : الإيمان بالله والإيمان بالآخرة ، والاجتهاد في إرضاء الله تبارك وتعالى والعمل بسنة رسوله ﷺ يجب أن يكون هذا هو الأساس أما بسط الحكم ، أما إقامة حكومة إسلامية ، فهذا يأتي في الدور الثاني ولي كتاب يشرح هذا كله عنوانه : «التفسير السياسي للإسلام» كتب أصلاً

باللغة العربية استلفت فيه النظر إلى أنه لا ينبغي أن يكون تفسير الإسلام خاضعاً لمصطلحات سياسية ، ولأهداف سياسية فقط ، لأنه كتاب محكم ثابت ، خالد ، عام للبشرية ، والأساس فيه إرضاء الله تبارك وتعالى ، وتنفيذ أحكامه والعمل بها والعمل بأحكام رسوله ﷺ ويأتي في نتيجة ذلك الحكم والقوة السياسية ، فليس الحكم والقوة السياسية هو الهدف الأول والأساس ، بل الهدف الأول والأساس : طاعة الله تبارك وتعالى وطاعة رسوله .

• ولكن مهمة الأمة الإسلامية وطلائعها وهي التمكين لدين الله في الأرض وإقامة الحكم الإسلامي قد تتأخر طبقاً لهذا المفهوم التربوي؟

إذا تأخر قليلاً ، لا ضير ، لكنه يكون أثبت وأرسخ ، إن كل شيء يأتي في وقته يكون راسخاً وثابتاً ، فلا بد للتهيؤ لأمر «التمكين لدين الله» من الانقياد لله تبارك وتعالى وامتثال أوامره ، وتفضيل أوامره وما ثبت من الكتاب والسنة على المبادىء الأصلية ، وغير ذلك .

• هل يمكن اعتبار هذا المنهج هو الأقرب لمنهج جماعة الإخوان المسلمين التي تأخذ بالتربية الإسلامية لأمة كمنهج للتغيير؟

نعم عندنا تقدير قديم لهم ، لا أقول إننا متفقون مئة في المئة ولكنني أقدر كبير التقدير أني عرفت الإخوان المسلمين ، ولي مقدمة لكتاب الإمام حسن البنا «مذكرات الدعوة والداعية»

وفاتني أن أقابل مؤسس الجماعة الشيخ حسن البنا ، ولكنني قابلت زملاءه وتلاميذه في مصر ، وعشت معهم مدة ، وفي ضوء ما درسته وما علمته كتبت كتابي «أريد أن أتحدث إلى الإخوان» ففيه بعض ملاحظات ، مع احترام وتقدير وتصديق وإعجاب لكنها ملاحظات أخ لإخوانه ، ورفيق من رفقتهم[١] .

من الجاهلية إلى الإسلام

إن الانتقال من الجاهلية إلى الإسلام أعظم انتقال وأعجبه في تاريخ التحولات والحوادث ، وكانت الشقة التي قطعها المسلمون في القرن السادس المسيحي في تحولهم من الوثنية بأوسع معاني الكلمة إلى دين التوحيد أطول شقة قطعها البشر في أقصر مدة وأقرب وقت عرفه التاريخ .

فالحديث عن هذا السفر العجيب حديث طريف . حديث شائق وحديث يهم العالم كله معرفته في العصر المتحير المرتبك

---

(١) من حوار سماحة الشيخ الندوي في مجلة «المجتمع» الكويتية عدد ١٣٣٨ .

الذي قد تحرك ركبه وسار ولم يعرف بعد غايته التي يقصدها ، والمكان الذي ينتهي إليه»[١] .

مشكلة العالم الإسلامي

إنني أرى أن أهم مشكلة في العالم الإسلامي اليوم هي مشكلة القادة والشعوب ، إنها مشكلة الفجوة الهائلة التي وقعت بينهما إن الشعوب تريد الإسلام ، وتحب أن تحيا به وله ولكن من المآسي والفواجع أن زمام هذه الشعوب إلى قيادات وضع جهازها الفكري بعيدا عنها»[٢] .

الفراغ الأكبر والعبقري المطلوب

إن الفراغ الهائل الأكبر في العالم الإسلامي هو الحاجة إلى ذلك العبقري العصامي الذي يواجه الحضارة الغربية بشجاعة وإيمان وذكاء ، ويشق له طريقاً خاصاً بين مناهجها ومذاهبها ،

(١) من تقديم سماحة الشيخ الندوي لرسالة : «من الجاهلية إلى اسلام» ص ٩ .

(٢) من حوار سماحة الشيخ الندوي في مجلة «المجتمع» الكويتية ٩ ذي القعدة سنة ١٤١٧ هـ .

وبين فضائلها ورذائلها ، طريقاً يترفع فيها عن التقليد والمحاكاة وعن التطرف والمغالاة ، غير خاضع فيها للأشكال والمظاهر ، والمفاهيم السطحية ، متمسكاً بالحقائق وأسباب القوة ، وباللباب دون القشور .

العبقري العصامي الذي يشق له ولبلاده وأمته طريقاً مبتكراً ، ويجمع فيها بين الإيمان الذي اختص به الأنبياء والرسل ، والدين الذي أكرمه الله وأمته به عن طريق محمد ﷺ ، وبين العلم الذي ليس ملك أمة ولا بلد ولا عصر ، يأخذ من الدين الدوافع الخيرة التي هي أعظم قوة وأغنى ثروة في خدمة الإنسانية وبناء صرح المدنية ، والغايات الرشيدة الصالحة التي لا يوحيها إلا الدين السماوي والتربية الدينية السليمة ، ويأخذ من الحضارة الغربية الآلات والوسائل القوية الكثيرة التي أنتجتها وتوصلت إليها في سيرها العلمي الطويل وفي جهادها المتواصل الشاق ، ولم ينتفع بها الغرب لإفلاسه في هذا الإيمان وفقره في هذه الدوافع الخيرة ، وفي هذه الغايات الصالحة ، بل أصبحت تستخدم في شقاء الإنسانية وتقويض أركان المدنية أو لغايات تافهة لا قيمة لها .

العبقري العصامي الذي يعامل الحضارة الغربية ـ بعلومها ونظرياتها واكتشافاتها وطاقاتها ـ كمواد خام ، ويصوغ منها حضارة قوية عصرية مؤسسة على الإيمان والأخلاق والتقوى والرحمة والعدل في جانب ، وعلى القوة والإنتاج والرفاهية

وحب الابتكار في جانب آخر ، ولا يعامل الحضارة الغربية كشيء قد تم تكوينه وتركيبه وحتم عليه فلا يؤخذ إلا برمته ولا يقبل إلا على علاته ، إنما يأخذها كأجزاء ، يختار منها ما يشاء ، ويركب منها جهازاً يخضع لغايته وعقيدته ومبادئه ونظام خلقه وما يكلفه به دينه من منهج خاص للحياة ، ونظرة خاصة إلى الدنيا ، وسلوك خاص لبني النوع ، وسعي خاص للآخرة ، وجهاد دائم: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] جهازاً مؤسساً على الإيمان بنبوة محمد ﷺ وأنه المثل الكامل ، والإمام الدائم ، والقائد المطاع ، والنموذج المتبع والسيد المحبوب ، والخضوع لشريعته كدستور للحياة ، وأساس للتقنين ، والدين الوحيد الذي تنال به سعادة الدنيا والآخرة ولا يقبل الله سواه.

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده ، وما ينفع عملياً وما ليس عليه طابع غرب أو شرق ، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة وفي عصر الثورة على الدين ، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس. يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين ومن النتائج الخاطئة ، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره ، ويستنتج

منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون.

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم، وإنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية، فيأخذ منه ما فاته من التجارب ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب، ويحاول أن ينهج ـ بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق وقوى الروحانية والمادية ـ منهجاً جديداً يجدر بالغرب تقليده وتقديره، ويضيف إلى المدارس الفكرية والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع.

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام[١].

---

(١) من كتاب: «الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية» لسماحة الشيخ الندوي ص ٢١٠ ـ ٢١٢.

ضرورة الدعوة بلسان القوم ودورها في أداء الرسالة

لقد كان من حسن حظي أنني قرأت في سنيَّ المبكرة وأيام دراسة اللغة العربية الأولى كتباً تعتبر في القمة في اللغة الأردوية وآدابها ومعلوم أن الدعاة والعلماء الذين لا تسع لهم الفرصة في سنيهم المبكرة لدراسة لغة البلاد وآدابها والتذوق لها. أو يطالعون كتبها في الكبر ، يواجهون صعوبة كبيرة في القيام بدعوة مؤثرة ، وتفسير المفاهيم الدينية وتعليمها ، وشرح الفكرة الإسلامية وغرس المقاصد والأهداف الدينية في نفوس الطبقة المثقفة بالثقافة العصرية ، وتخلو كتاباتهم وإنشاؤهم من القوة والتأثير والروعة والجمال الذي لا بد منه في هذا العصر»[١].

---

(١) من كتاب: «في مسيرة الحياة» لسماحة الشيخ الندوي الجزء الأول ص٨٠.

الإنجليزية ودورها في القيام بواجب الدعوة في العصر الحاضر

ولما نجحت في التخصص في الأدب العربي أردت أن اجتاز اجتيازاً في المرحلة المتوسطة (MATRIC) وكان ذلك موافقا لمقتضيات ذلك الجو وتلك البيئة فقد كانت الدولة للغة الإنكليزية والثقافة الإنكليزية ، وكانت لهما صولة وجولة.

وكان شيخنا الشيخ خليل اليماني أيضاً يقيم للدارسة الإنكليزية العصرية وزناً كبيراً ، وكانت لها عنده قيمة وأهمية ، اعترافاً بالواقع ومجاراة للزمن وكان يتمنى أن يتخذها الدارسون للعلوم الدينية وسيلة للدعوة إلى الإسلام والتأثير في الشباب المثقف ، ولكل امرىء ما نوى.

وكانت هذه هي الفترة التي أصبت فيها باستغراق في دراسة الإنكليزية وحماس زائد. فاشتريت الكتب المقررة في «ميترك» (MATRIC) وبدأت أدرس الرياضيات على أستاذ في الحي ، واللغة الإنكليزية على الأستاذ الفاروقي ، ثم لما غادر هو لكهنؤ

بدأت بنفسي أدرس وأطالع الكتب ، ثم بدأت أراجع كتب المرحلة الثانوية وأطالعها ـ ولعلها تكون بمستوى الليسانس ـ وأحل عباراتها عن طريق المعاجم .

ولم أكن قد شاركت امتحان هذه المرحلة إذ علمت الوالدة ـ ولعل ذلك عن طريق أخي ـ بهذا الشغف الزائد بالإنجليزية ، فكتبت إلي رسائل رقيقة مرققة تفيض إيماناً وغيرةً على الدين ، وتدل على علو همتها وبعد نظرها ، ومدى إيثارها للدين على الدنيا ، واحتقارها للمناصب العالية ، والجاه العريض ، والرخاء والثراء اللذين يأتيان عن طريق الشهادات الجامعية والاختبارات الحكومية ، وقد كان ذلك مما يتنافس فيه المتنافسون في ذلك العصر ، ويفتخر به الآباء والأمهات ، ويهنئون لذلك أولادهم ويرون ذلك منتهى السعادة والشرف .

لقد كان من تأثير أدعية الوالدة المخلصة وابتهالاتها الضارعة أن بدأ قلبي يشعر فجأة بالسآمة والنفور من المزيد من دراسة اللغة الإنجليزية، ووزعت الكتب المقررة التي كانت لغيري على مبتغيها ، إلا أن هذا الانصراف الشديد الذي لم يكن فيه الاتزان والنظام أفادني من حيث أنني حصلت في مدة قريبة مادة استطعت أن انتفع بها في أعمالي التأليفية العلمية وفي رحلاتي إلى إنكلترا أو أمريكا ، وقد تمكنت بهذه الدراسة أن اقرأ الكتب التي ألفت

في المواضيع الإسلامية والتاريخ بالإنكليزية بسهولة ولا أزال أستفيد بها وأنتفع[١].

كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته

ويحلو لي وأنا أذكر هذا النمط من تربية الوالدة أن أذكر حقيقة كتجربة عملية وتوجيه للمربين والمربيات: إن في نشأة الأطفال الدينية والخلقية، واستعدادهم لأن يوفقهم الله تعالى لخدمة دينه

ويشرفهم بقبوله دخلا كبيراً لأمرين، أولهما: أن يجنبوا من الظلم والتعدي وكسر القلوب، حتى لا يؤثر أنين رجل جريح القلب أو دعاء مظلوم معتدى عليه على مستقبلهم، والثاني: أن يكون طعامهم حلالاً بعيداً كل البعد عن مال الغصب والمال الحرام والأموال المريبة، وقد هيأ الله تعالى لهذا العبد الضعيف هذين الأمرين، فقد كان أجدادنا لم يمتلكوا الأراضي والعقارات والأموال والحقوق المشتركة منذ زمن طويل، وكان دخل الوالد من خالص عيادته الطبية، ولم يحفظني الله تعالى من أموال

(١) من كتاب: «في مسيرة الحياة» لسماحة الشيخ الندوي الجزء الأول ص ١٠٠ ـ ١٠٢.

الشبهة فحسب بل حفظني من طعام البدع والرسوم والتقاليد الهندية الشائعة[١].

إلى قمة القيادة العالمية:

ما أعظم التطور الذي حدث في تاريخ العرب على إثر بعثة محمد ﷺ ونادت به سورة الإسراء وقصة المعراج في لغة صريحة بليغة وفي أسلوب مبين مشرق[٢]، وما أعظم النعمة التي أسبغها الله على العرب، نقلهم من جزيرتهم التي يتناحرون فيها إلى العالم الفسيح الذي يقودونه بناصيته، ومن الحياة القبلية المحدودة التي ضاقوا بها إلى الإنسانية الواسعة التي يشرفون عليها ويوجهونها، وأصبحوا بفضل هذا التطور العظيم الذي فاجأ العرب وفاجأ العالم يقولون بكل وضوح وشجاعة لإمبراطور المملكة الفارسية العظيمة وأركان دولته: «الله ابتعثنا ليخرج بنا

---

(١) من كتاب: «في مسيرة الحياة» لسماحة الشيخ الندوي الجزء الأول ص ٧٣.

(٢) تضم سورة الإسراء قصة المعراج إعلانات بأن محمداً ﷺ هو نبي القبلتين، وإمام المشرقين والمغربين، ووارث الأنبياء قبله، وإمام الأجيال بعده.

من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام» .

نعم لقد خرجوا من ضيق الدنيا أولاً إلى سعتها ثم أخرجوا الأمم من ضيق الدنيا إلى سعتها آخراً ، وهل أضيق من الحياة القبلية والجنسية ، وأوسع من الحياة الإنسانية الآفاق؟ وهل أضيق من الحياة التي لا يفكر فيها إلا في المادة الزائلة والحياة الفانية ولا يجاهد إلا في سبيلها من الحياة الإيمانية الروحانية التي لا نهاية لها ولا تحديد؟!

لقد خرجوا من ضيق جزيرة العرب ، ومن ضيق الحياة فيها ، ومن ضيق التفكير في مسائلها ومصالحها ، ومن ضيق التناحر على سيادتها ، ومن ضيق التكالب على حطامها القليل وملكها الضئيل وعيشها الذليل ، إلى عالم جديد من السيادة الروحية والخلقية والعلمية والسياسية ، وليس الدانوب الفائض والنيل السعيد والفرات العذب والسند الطويل إلا سواقي حقيرة وترعاً صغيرة فيه ، وليست جبال الألب والبرانس وعقاب لبنان وقمم هملايا إلا تلالاً متواضعة وسدوداً صغيرة ، وليست البلاد الواسعة كالهند والصين وتركستان إلا أحياء ضيقة وحارات صغيرة ، ونقطاً مغمورة في هذا العالم ، وليست هذه الأرض كلها ـ إذا نظر إليها من ارتقى إلى قمة هذه السيادة ـ إلا خريطة صغيرة ملونة يراها الطائر المحلق في السماء ، وليست الأمم

الكبيرة ـ مع ثقافتها وحضاراتها وآدابها ـ إلا أسراً صغيرة في أمة كبيرة .

لقد قام العالم الكبير على أساس العقيدة الواحدة ، والإيمان العميق والصلة الروحية القوية ، وكان أوسع عالم عرفه التاريخ ، وكانت الشعوب التي تكون هذا العالم أقوى أسرة عرفها التاريخ ، تنصهر فيها الثقافات المختلفة ، والعبقريات المختلفة ، فتكون منها ثقافة واحدة هي الثقافة الإسلامية ، التي لم تزل تظهر في نوابغ الإسلام الذين لا يحصيهم عدد وفي المآثر الإسلامية ـ بين علمية وعملية ـ التي لا يستقصيها التاريخ .

لقد كانت ـ ولا تزال ـ قيادة هذا العالم بجدارة واستحقاق أشرف قيادة وأعظمها وأقواها في تاريخ الزعامة والقيادة ، وقد أكرم الله بها العرب لما أخلصوا لهذه الدعوة الإسلامية وتفانوا في سبيلها ، فأحبهم الناس في العالم حباً لم يعرف له نظير ، وقلدوه في كل شيء تقليداً لم يعرف له نظير ، وخضعت للغتهم اللغات ، ولثقافتهم الثقافات ، ولحضارتهم الحضارات ، فكانت لغتهم هي لغة العلم والتأليف في العالم المتمدن من أقصاه إلى أقصاه ، وهي اللغة المقدسة الحبيبة التي يؤثرها الناس على لغاتهم التي نشؤوا عليها ، ويؤلفون فيها أعظم مؤلفاتهم وأحب مؤلفاتهم ، ويتقنونها كأبنائها وأحسن ، وينبغ فيها أدباء

ومؤلفون يخضع لهم المثقفون في العالم العربي ، ويقر بفضلهم وإمامتهم أدباء العرب ونقادهم .

وكانت حضارتهم هي الحضارة المثلى التي يتمجد الناس ويتظرفون بتقليدها ، ويحث علماء الدين على تفضيلها على الحضارات الأخرى ويطلقون على كل ما يخالفها من الحضارات ـ «اسم الجاهلية» و«العجمية» وينهون عن اتخاذ شعائرها ومظاهرها .

وبقيت هذه القيادة الشاملة الكاملة مدة طويلة والناس لا يفكرون في ثورة عليها ، وفي التخلص منها كما هي عادة المفتوحين والأمم المغلوبة على أمرها في كل عهد ، لأن صلتهم بهذه القيادة ليست صلة المفتوح بالفاتح أو المحكوم بالحاكم أو الرقيق بالسيد القاهر ، إنما هي صلة المتدين بالمتدين ، وصلة المؤمن بالمؤمن ، وعلى الأكثر إنما هي صلة التابع بالمتبوع الذي سبقه بمعرفة الحق والإيمان بالدعوة والتفاني في سبيلها ، فلا محل للثورة ، ولا محل للتذمر ، ولا محل لنكران الجميل ، إنما اللائق أن يعترفوا لهم بالفضل ، وتلهج ألسنتهم بالشكر والدعاء ، وأن يقولوا: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر : ١٠] .

وهكذا كان ، فقد ظلت هذه الأمم المفتوحة تعتبر العرب

المنقذ من الجاهلية والوثنية ، والداعي إلى دار السلام ، والقائد إلى الجنة ، والمعلم والأستاذ في الأدب .

هذه هي القيادة العالمية التي هيأتها البعثة المحمدية ، وأعلنتها سورة الإسراء ، وهي القيادة التي يجب أن يحرص عليها العرب أشد الحرص ، يعضوا عليها بالنواجذ ، ويسعوا إليها بكل ما أوتوا من مواهب ويتواصى بها الآباء والأبناء ، ولا يجوز لهم ـ في شريعة العقل والدين والغيرة ـ أن يتخلوا عنها في زمن من الأزمان ، ففيها عوض عن كل قيادة مع زيادة ، وليس في غيرها عوض عنها وكفاية ، وهي القيادة التي تشمل جميع أنواع القيادة والسيادة ، وهي تسيطر على القلوب والأرواح ، أكثر من سيطرتها على الأجسام والأشباح .

إن الطريق إلى هذه القيادة ممهدة ميسورة للعرب ، وهي الطريق التي جربوها في عهدهم الأول «الإخلاص للدعوة الإسلامية واحتضانها وتبنيها والتفاني في سبيلها وتفضيل منهج الحياة الإسلامي على جميع مناهج الحياة» .

وبذلك ـ من غير قصد وإرادة لنيل هذه القيادة وتبوئها ـ تخضع لهم الأمم الإسلامية في أنحاء العالم، وتتهالك على حبهم وإجلالهم وتقليدهم ، وبذلك تنفتح لهم أبواب جديدة وميادين جديدة في مشارق الأرض ومغاربها، الميادين التي استعصت على غزاة الغرب ومستعمريه وثارت عليه ، وتدخل أمم جديدة

في الإسلام ، أمم فتية في مواهبها وقواها وذخائرها ، أمم تستطيع أن تعارض أوربا في مدنيتها وعلومها إذا وجدت إيماناً جديداً ، وديناً جديداً ، وروحاً جديداً ، ورسالة جديدة.

إلى متى أيها العرب تصرفون قواكم الجبارة التي فتحتم بها العالم القديم في ميادين ضيقة محدودة؟ وإلى متى ينحصر هذا السيل العرم ـ الذي جرف بالأمس بالمدنيات والحكومات ـ في حدود هذا الوادي الضيق. تصطرع أمواجه ويلتهم بعضها بعضاً؟ إليكم هذا العالم الإنساني الفسيح الذي اختاركم الله لقيادته واجتباكم لهدايته ، وكانت البعثة المحمدية فاتحة هذا العهد الجديد في تاريخ أمتكم وفي تاريخ العالم جميعاً ، وفي مصيركم ومصير العالم جميعاً فاحتضنوا هذه الدعوة الإسلامية من جديد وتفانوا في سبيلها وجاهدوا فيها ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الحج : ٧٨][١].

---

(١) من «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» سماحة الشيخ الندوي ، ص ٢٩٩ ـ ٣٠٢.

الفهرس

هذا الكتاب

إنّ هـذا الكتاب نبـراس يبـدّد حلكـة الظلام الّذي خيّم في طريق أبناء الإسلام ولا سيّما الدعـاة إلى الله وطـلبة العـلم الّذي يعلّق عليهم العلامة الندوي آمالاً كبيرةً في نشر الإسلام وإعلاء كلمة الله في مشارق الأرض ومغاربها .

نرجو الله عزّ وجلّ أن ينفع بهذا الكتاب ، إنه على كل شيء قدير

دار ابن كثير
دمشق – ص.ب ٣١١
بيروت – ١١٣/٦٣١٨